

روح المعاني

بأقربائه رحيم بأوليائه وقيل : رءوف بمن يراه رحيم بمن لم يره ولا مستند لشيء من ذلك فإن تولوا تلوين للخطاب وتوجيه له إليه صلى الله عليه وسلم تسلية له أي فإن أعرضوا عن الإيمان بك فقل حسبي الله فإنه يكفيك معرفتهم ويعينك عليهم لا إله إلا هو إستئناف كالدليل لما قبله لأن المتوحد بالألوهية هو الكافي المعين عليه توكلت فلا أرجو ولا أخاف إلا منه سبحانه وهو رب العرش أي الجسم المحيط بسائر الأجسام ويسمى بفلك الأفلاك وهو محدد الجهات العظيم الذي لا يعلم مقدار عظمتة إلا الله تعالى وفي الخبر أن الأرض بالنسبة إلى السماء الدنيا كحلقة في فلاة وكذا السماء الدنيا بالنسبة إلى السماء التي فوقها وهكذا إلى السماء السابعة وهي بالنسبة إلى الكرسي كحلقة في فلاة وهو بالنسبة إلى العرش كذلك وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنها لا يقدر قدره أحد وذكر أهل الإحصاء أن بعد مقعر الفلك الأعظم من مركز العالم ثلاثة وثلاثون ألف ألف وخمسمائة وأربعة وعشرون ألفا وستمائة وتسع فراسخ وأن بعد محدبه منه قد بلغ مرتبة لا يعلمها إلا الله الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء وهو بكل شيء عليم وقد يفسر العرش هنا بالملك وهو أحد معانيه كما في القاموس وقرء العظيم بالرفع على أنه صفة الرب وختم سبحانه هذه السورة بما ذكر لأنه تعالى ذكر فيها التكاليف الشاقة والزواج الصعبة فأراد جل شأنها أن يسهل عليهم ذلك ويشجع النبي A على تبليغه وقد تضمن من أوصافه صلى الله عليه وسلم والكرامة ما تضمن وقد بدأ سبحانه من ذلك بكونه من أنفسهم لأنه كالأم في هذا الباب ولا ينافي وصفه A بالرأفة والرحمة بالمؤمنين تكليفه إياهم في هذه السورة بأنواع من التكاليف الشاقة لأن هذا التكليف أيضا من كمال ذلك الوصف من حيث أنه سبب للتخلص من العقاب المؤبد والفوز بالثواب المخلد ومن هذا القبيل معاملته صلى الله عليه وسلم للثلاثة الذين خلفوا كما علمت وما أحسن ما قيل : فقسا ليزدجروا ومن يك حازما فليقس أحيانا على من يرحم وهاتان الآيتان على ما روي عن أبي بن كعب آخر ما نزل من القرآن لكن روى الشيخان عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه أنه قال : آخر آية نزلت يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة وآخر سورة نزلت براءة .

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما آخر آية نزلت واتفقا يوما ترجعون فيه إلى الله وكان بين نزولها وموته A ثمانون يوما وقيل : تسع ليال وحاول بعضهم التوفيق بين الروايات في هذا الشأن بما لا يخلو عن كدر ويبعد ما روي عن أبي ما أخرجه ابن مردويه عن سعد بن أبي وقاص قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جاءته جهينة فقالوا له : إنك

نزلت بين أظهرنا فأوثق لنا نأمنك وتأمنا قال : ولم سألتهم هذا قالوا : نطلب الأمن فأنزل
اﷻ تعالى هذه الآية لقد جاءكم إلخ واﷻ تعالى أعلم بحقيقة الحال .
وقد ذكروا لقوله سبحانه فإن تولوا الآية ما ذكروا من الخواص وقد أخرج أبو داود عن
أبي الدرداء موقوفا وابن السني عنه قال : قال رسول اﷻ A من قال حين أصبح وحين يمسي
حسبي اﷻ لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات كفاه اﷻ تعالى ما أهمه
من أمر الدنيا والآخرة وأخرج ابن النجار في تاريخه عن الحسين رضي اﷻ تعالى عنه قال : من
قال حين يصبح سبع مرات حسبي اﷻ لا إله إلا هو إلخ لم